

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة



Looloo

www.dvd4arab.com

الجزء الثاني

أسطورة الرجل الذئب

مكتبة
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: ٢٠٠٤م - ٢٠٠٤م - ٢٠٠٤م

مقدمة ..

مرة أخرى أعرفكم على نفسى : الدكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقا بجامعة (...) وعدد لا بأس به من جامعات أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين .. عزب ، لأن حياتى الصاخبة لم تدع لى الفرصة أبدا كى أكون كالأخرين ..

لقد عرفت أشياء كثيرة .. فتحت تاهوت الكونت (دراكويولا) .. صارعت المذعوب فى رومانيا .. بحثت عن وحش (لوخ نس) فى اسكتلندا ، قابلت رجل الثلوج الرهيب فى التبت ، وليبت نداء النداهة فى غيطان الذرة المظلمة .. وعرفت (الزومبى) فى جامايكا .

كل هذا سأحكىه لكم بالتفصيل فى هذه السلسلة .. لكنى - مرة أخرى - أرجو من ضعاف الأعصاب ومرهفى الحس أن يمتنعوا عن القراءة ، وبذلك يوفرون على أنفسهم ساعات من التوتر والهلع وخشية الظلام .. اليوم أحكى لكم قصتى مع أسطورة الرجل الذئب ..

١ - بلد الأساطير ..

نظر (أستبان) إلى ذبالة الشمعة المحترقة وإلى وجوه الجالسين حوله ثم شمس :
- يا رفاق .. إن المذعوب هو أحد الجالسين على هذه المائدة ! ..

قبل أن نصل إلى هذا الجزء ، دعونا نعود بضع أيام إلى الوراء ، إلى زيارتى لرومانيا للمرة الأولى فى حياتى ، كنت فى السابعة والثلاثين من عمري ، وقد مضى عامان على مغامرتى الرهيبة مع الكونت (دراكويولا) .. وكنت أعتقد - واهما كدأبى - أن متاعبى قد انتهت للأبد وأن الوقت قد حان كى أتزوج وأكون أسرة صغيرة وأفتتح عيادة نظيفة بمجرد عودتى من هذه المهمة العلمية ..

فى إحدى جامعات كلوج قابلت الصحفى الرومانى (جوستاف فيكولستو) .. وهو شاب شديد الذكاء يتمتع بروح دعابة قوية ، ويجيد الإنجليزية كأهلها .. ومتبحر فى الأدب والعلوم الإنسانية ، وقد اعتبر نفسه مرشدا لى فى كل خطواتى ، وعلمنى الكثير عن رومانيا البلد الذى كنت أعرف عنه أقل القليل أو لا شىء على الإطلاق ..

يا لك من أحق ! .. ماذا تعرف أنت عن هذا القصر
وعن تابوت الكونت وعن خادمه .. وعن .. وعن ؟
- بل إن (ترانسلفانيا) هي أيضا مكان قلعة
(فرانكنشتاين) كما وصفتها مدام (مارى شيللى) !
- يا له من بلد جميل !

- المهم .. كنت أقول لك إن الأتراك غزوا رومانيا ..
ودارت معركة كبيرة بينهم وبين (ستيفانو) الأكبر في
سهول راکوفا .. ثم تنازلت تركيا - الرجل المريض - عن
أجزاء من البلاد للنمسا في صلح (باساروفيتش) ..
- ومتى إذن صرتم أحرارا ؟ ..

- حدث هذا في عام ١٨٥٦ .. وانتخب للحكم الأمير
(ألكسندر كوز) بعد الحرب العالمية الأولى ضمنا للبلاد
(بوكوفنيا) من روسيا .. ثم جاءت الحرب العالمية
الثانية .. استولى الجنرال (أنطونسكو) على الحكم لصالح
النازى ، وكان من جراء هذا أننا فقدنا (بوكوفنيا) مرة
أخرى هي وأجزاء من (ترانسلفانيا) عادت للمجر ..
بعد الحرب صرنا دولة شيوعية تابعة للاتحاد
السوفيتى ..

(كان هذا الكلام فى عام ١٩٦١ ولم يكن أحدنا يتخيل
ما سيحدث لرومانيا - وللشيوعية كلها - بعد ثلاثين
عاما) ..

- ما هي الديانة هنا ؟ ..
- إن غالبية السكان هم روم أرثوذكس ..
- والشيوعية ؟
ابتسم فى تحفظ .. ثم همس وهو ينظر نظرة ذات
معنى :

- يا رفيق .. إن الشيوعية لن تغير رومانيا .. إن
رومانيا نسيج وحدها فى أوروبا وهي لن تتبدل أبدا .
رومانيا - كما قال لى - هي كلمة تعنى أرض روما ..
لأن القائد الرومانى العظيم (ترايانو) قد فتحها وطرده
البربر منها فى موقعة (دانتشيا) سنة ١٠٦ ميلادية ..
ومنذ ذلك الحين صارت ولاية رومانية .
ثم غزاها القوط ، ومن بعدهم السلاف ، فى القرن
السادس الميلادى .

- أعتقد أن السلاف هم من أعطاهم طابعها المميز ؟
- إلى حد ما ، والأهم هو أنهم قسموها إلى منطقتين :
(ترانسلفانيا) و (الاشيا) ..

- ترا .. ترانسلفانيا ؟ .. حيث قصر الكونت ..
- (دراكيوولا) ! .. نعم ! .. إنها بلد خالد بالأساطير ..
وأهم معالمه السياحية هو قصر الكونت (دراكيوولا) ، يجب
أن نزوره معا .. فهو مكان مثير للخيال إلى أقصى حد !

قلت له :

- ولماذا تحبون الشيوعية ؟

- مكره أخاك لا بطل ! .. إن موسكو لا تترك لأحد فرصة الاختيار ، أضف إلى هذا أننا كنا نريد أى تغيير بعد مظالم العهد البائد ..

- هلا أعطيتنى سيجارتك أشعل بها سيجارتى ؟

قدمت له سيجارة فأخذها .. وهتف :

- أرايت ؟ .. قبل سنة ١٩٤٧ كانت هذه جريمة يعاقب

عليها كلانا بالسجن !

- أية جريمة ؟

- إشعال سيجارة من سيجارة ! .. كانت قوانين

الاحتكار تحتم على المواطن استعمال عود نقاب لهذا

الغرض كي تروج تجارة النقاب (*) !

أخذت أضحك .. فلم أتخيل من قبل هذه العبقرية فى

تقييد الحرية الشخصية للإنسان ، يا للجهل البشرى !

قال جوستاف :

- سترى الكثير من الأعاجيب فى رومانيا .. عليك الآن

أن تذهب لفندقك كي تستريح .. وسأراك غذا ..

★ ★ ★

(*) حقيقة .

كانت جولة رائعة استغرقت أسبوعين ، زرنا فيها جامعات (كلوج) وكنائس (بوخارست) العتيقة .. وبخلفنا حائات (مامايا) على البحر الأسود ، حيث روى لنا البحارة الأشداء قصصاً مثيرة .. وزرنا ميناء (كونستانتا) أهم موانئ رومانيا ، لكن ما أثر فى أشد تأثير كان زيارتى (لترانسلفانيا) ..

- (ترانسلفانيا) هى حوض منخفض فى غرب البلاد

تحده سلسلة جبال الألب الترانسلفانية ، وإلى الشمال تجد

مركز صناعة الصلب فى رومانيا .. ثم منطقة

(الكربات) ..

- هذا الاسم مألوف لى ..

- (الكربات) هى منطقة رعوية .. جبال متوسطة

الارتفاع تكسوها الحشائش ، وفى الجنوب يجرى نهر

الدانوب ..

- الأزرق ؟

- لا يوجد دانوب أحمر فيما أظن ! ..

وفى تلك الليلة زرنا قصر الكونت (دراكويولا) العتيق

المتهدم ، وكنت أنكر تفاصيله من الصور الفوتوغرافية

فى المرة السابقة ، لم أتمالك أن أرتجف وأنا أتخيل

انطلقت سيارة (جوستاف) في الطريق الوعر المتشعب
والمطر ينهمر بغزارة على زجاج النافذة في حين كان بخار
الماء يتكاثف من أشداقنا على باطن الزجاج الدافئ ..
فكنت أمسحه من أمامه بمنديل من حين لآخر ..

ومن بعد - عبر الغابات الكثيفة المظلمة - كان لسان
من البرق يشق السماء من حين لآخر ليضئ الموجودات
بلون أزرق بارد قاس ثم يختفي .. وبعد ثوان يدوي هزيم
الرعد كأنما تجوم السماء بصطدم بعضها البعض ..

- إنها الكريفات ...

- الكريفات ؟ ..

- إنها ريح شتوية عاتية تجتاح هذه المناطق ..
وتحدث كارثة في المزروعات .. إنها وبال على الفلاحين
هنا .

- يا له من فال سيئ ! ..

- لا تبتلس يا رفيق .. أنت لم تر سوى رومانيا
الباسمة ، وقد حان الوقت كي تراها حين تكشر عن
أنيابها ! ..

كنا نجتاز دلتا الدانوب في جنوب البلاد ، وكانت الطيور
كلها قد فرت قبل العاصفة ، ولم يبق في الغابات المترامية

د . (ريثمار) و (لوفارسكي) يتسلان ليلاً لهذا القصر
المتهدم كي يبحثا عن مومياء (دراكويلا) ، وتذكرت رعب
أهل القرية من المرور جواره ..

إن هذا المكان ينبض بروح ما ، لا يمكن وصفها ..

قال لي (جوستاف) :

- إن التراث الشعبي في رومانيا مليء بقصص
الرعب ، والأمهات هنا يخفن أطفالهن بحكايات مصاصي
الدماء والمذعوبين و (نوسفراتو) (*)

- ولماذا في رومانيا بالذات ؟

- إما أن هذا يعود لخصوبة الخيال المحلي .. وإما أن

هذه المسوخ موجودة في رومانيا بالفعل ! ..

(*) الاسم المجري لدراكويلا ..

إلا بعض الذناب تهت عن ماوى ..

بدأ الجليد يتساقط رقيقاً ناعماً لكنه فقال ، فى ثوان
تكتسى الغابات بلون أبيض جميل ، وكنت لم أر الجليد فى
حياتى .. وقد خيل لى أننى أحلم .. فجأة يتحول المشهد
إلى مسرح لقصة خرافية ما .. نعم .. لا بد أن ينشط الخيال
البشرى فى هذه الأصقاع .. لا بد .

- رابع !

- هل تعنى أنك لم تر جليداً قبل اليوم ؟

- نعم ..

- ألم تقل إنك زرت إنجلترا وفرنسا مراراً ؟

- بلى .. كان ذلك دائماً فى جو صحو للأسف !

انفجر بضحك .. ثم اشعل سيجارة .. وهتف :

- إن دلتا الدانوب مليئة بالبجع والبلشون .. والديبة ..

والفهود !

- فهود ؟

- طبعاً .. أنت لم تر رومانيا بعد يا صديقى .. ويبدو

أنك سترى منها الكثير من الآن فصاعداً ..

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أننا لن نستطيع الاستمرار فى هذا الجو دون

جنازير على العجلات .. يجب أن نتوقف ! ..

★ ★ ★

شرح (جوستاف) بتفحص خريطة الطرق .. ثم تمت :
- أقرب مدينة منا هى (تورسفرين) لكنها على
مسافة لا بأس بها ، إلا أن هناك قرية صغيرة اسمها
(كرايوفسكا) على بعد عشر دقائق .. أعتقد أنها أملنا
الوحيد .. المهم هو أن نتحرك سريعاً قبل أن يتعذر ذلك ..

والفقتة على كلامه لأن نمائى الحارة القائمة من وادى
النيل كانت قد بدأت تتجمد فى عروقى ، كنت أرتدى
بول أوفرين ومعطفاً وتحت بنطلونى ذلك السروال اللقطنى
السميك الذى أهدته لى المرحومة أمى حين ذهبت
للإسكندرية أول مرة فى حياتى ، لكنى برغم ذلك كنت
أرتجف .. وبدأ أنفسى يسيل .. وأدركت أننى فى حالة
سيئة .. سيئة ..

أعاد (جوستاف) الخريطة إلى تابلوه العربى ، ثم أدار
المحرك عدة مرات .. احتبس فيها نفسى لا أريد التفكير
فيما سيحدث إذا رفضت السيارة التحرك .. ثم انطلقت
السيارة ، ومضينا صامتين لا شئ حولنا سوى الأشجار
المغطاة بالثلج تلتصق فى كشافات السيارة .. ومن بعيد كان
ذئب أو اثنان يجريان من طريق العربى .

- (جوستاف) ؟

- هم م م ؟

- ماذا عن قضة الصقيع ؟

وقضة الصقيع - إن كنت لا تعرف - هو نوع من
الغفرينا يصيب الأطراف في البرد الشديد ويؤدى لبتها ،
قال لى ما معناه :

- قال الله ولا فالك !

- أنا لا أمزح .. أنا لا أشعر بأصابع قدمى ! ..

- على كل حال ليس الطقس بهذا السوء .. لسنا فى
(سبيرييا) فلا نتصرف كالأطفال ..

ظللت صامتًا وأنا ألعنه فى سرى ، وألعن دلنا الدانوب ،
وهذه الكر .. الكرفات أو أيا كان اسمها ، وشرعت أتخيل
نفسى عاندا للقاهرة دون قدمين لآتسول جوار مسجد
الحسين ، أو أتخيل نفسى ضحية لذئاب رومانيا الشهباء
التي لا تمزح .. هل سيكرمون نكرائى فى كلية الطب
ويسمون دورة المياه بها على اسمى ؟ .. دورة مياه
الشهيد (رفعت إسماعيل) ! ..

فى ذلك الوقت لم أكن أعرف أننى سأعيش ثلاثين عامًا
أخرى سليما معافى ، واليوم أتذكر ، فى كل مآزق حياتى
- وما أكثرها - كنت فى كل مرة أعتقد أنها الأخيرة ، لهذا
لم أستمتع ولم أتعلم ..

حين تدخل أنت بيت الأشباح فى مدينة الملاهى أو فيلم
رعب تكون على علم تام بأنك - مهما رأيت - ستعود

إلى بيتك سالما بعد هذا الفزع ، لهذا تعيش التجربة
بأكملها ، أما أنا فلم أكن أعرف ..

والدرس الذى تعلمته - بعد سنوات طويلة - هو أن
أفترض فى كل مآزق أننى سأخرج منه سالما من ثم أحتفظ
بوضوح وترتيب فكرى ، إن الهلع لا يجدى .. والموت هو
ميعاد مكتوب لن يغيره حذى ولا رعبى ، فإذا جاء ..
فلأمت كرجل مبتسما واثقا ..

لكنى لم أكن أفهم هذا وقتها ! ..

ومن بعيد لاحظت أضواء القرية .

كانت الساعة العاشرة مساءً .. والشوارع مغطاة
بالثلج ، والظلام شبه تام فيما عدا بعض الأضواء خلف
النوافذ المغلقة ..

وارتحفت حين تخيلت الأسرة الملتفة حول المدفأة ..
والطعام ..

- الآن علينا أن نجد خانا ..

وأمام لافتة خشبية بضيلها مصباح ترجل (جوستاف)
من العربة .. ثم قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة
جواره .. وصاح باللغة الرومانية بشيء ما ، فرد عليه من
الداخل صوت فظ يقول شيئا آخر ، حين تسمع لغة
لا تفهمها يخيل إليك أن الكلمات تجرى بين شفاه أصحابها

بسرعة لا يمكن متابعتها ، (جوستاف) يصرخ
والصوت يصرخ .. ماذا هناك ؟

عاد إلى وهو يسب ويلعن - بالرومانية - بألفاظ أعتقد
أنها مشينة للغاية ، ثم فتح باب السيارة وجلس جوارى .
- الخنزير لا يريد أن يفتح لنا ..
- ولمه ؟

- لا أدري .. قال إننى أستطيع أن أشكوه لمكتب الفنادق
أو للحزب نفسه لكنه لن يفتح ..
- ربما يظننا لصوصاً ؟

- كلاً إن رعاة الدانوب ودودون جداً .. ولكن هذا الرجل
.. لا أفهم .. وأدار محرك السيارة ، وعشنا نجوب شوارع
القرية المكسوة بالثلج صامتين .. بعد دقائق سألته :

- (جوستاف) ؟

- نعم ..

- هل الليلة مناسبة دينية عنكم ؟

- لا أعتقد .. ولماذا ؟

- لا يوجد بيت فى هذه القرية إلا وغرس صليباً حديدياً
أمام بابه ! .. ألم تلاحظ هذا !!؟

★ ★ ★



قرع الباب بقضبة نحاسية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية

وصلنا للكنيسة العتيقة في القرية .. آخر أمل لنا في المبيت .. نزل (جوستاف) من العربة واتجه نحو باب الكنيسة الحديدى الصدى وصفق بكفيه .. ولم يفته أن يشير لصليب حديدى مغروس فى الجليد أمام الباب .. ونظر إلى نظرة معناها : أنت على حق فيما لاحظت .. بعد دقائق تحرك ضوء مصباح ، وانفتح الباب الصدى فى حذر عن وجه ملء بالتجاعيد ، كان هذا هو القسيس .. لحيته البيضاء ونظراته الطبية السمكية ذكرتانى بقساوسة الروم الأرثوذكس الذين عرفتهم فى الإسكندرية ، تحدث معه (جوستاف) بكلمات مقتضبة فهز رأسه استنكازا ودعانا للدخول ..

أغلقت خلفى باب السيارة ووثبت إلى الداخل وأنا أرتجف برذا . صعدنا سلالم متأكلة إلى غرفة واسعة رحبة .. وكانت هناك .. مدفأة ! اللهب الأحمر العزيز يتراقص مرحبًا بنا .. وكانت هناك سيدة عجوز جالسة تحيك التريكو جوار المدفأة .. قدمها لنا الأب بكلمات لم أفهمها ..

فقال (جوستاف) :

- الأتمة شقيقة الأب (أنطونيسكو) ..

وكانت هناك بعض كتب الصلاة على مائدة خشبية عتيقة ، وشمعدانان .. وعدة أيقونات ، كانت غرفة قديمة لكنها نظيفة مريحة و .. دافئة !

جلسنا أمام النار شاعرين أن اللهب ينفذ عبر عظامنا ليذيب النخاع بداخلها ! .. أما الأب (أنطونيسكو) فنهض إلى زجاجة صغيرة صب لنا منها شينا فى قندين من الخزف .. وقدمه (لجوستاف) ولى .. نظرت إلى (جوستاف) فى تساؤل فقال :

- روم ساخن ليجرى الدم فى عروقك ..

اعتذرت له وتاولته الكأس ليشربها بدلًا منى فى حين شرح هو الأمر للأب :

- مسلم ..

قالها بالرومانية كما نطقها نحن بالعربية .. فنظر إلى الأب فى مودة :

- آها ! .. مسلم ؟

ودارت محادثة قصيرة أدركت مفادها بالطبع .. من أين أتيت أنا وكيف ؟ وماذا أفعل فى هذا الركن المشنوم من العالم فى هذا الزمهرير بينما بلدى هو أجمل وأدفا بلدان الأرض ؟ .. لو كنت أجيد الرومانية لقلت له إننى مجنون أيها الرجل الطيب .. مجنون .. ومعتوه .. وأبحث عن حتفى ..

جاء العجوز في تؤده حاملة وعاء تفوح منه أبخرة
زكية .. ورغيفين طويلين .. وطبقاً به بعض شرائح
اللحم ، أشار القسيس إلى اللحم ولى وقال كلاً ما لم احتج
لمجهود كبير كي أعرف معناه ..

قال (جوستاف) :

- يقول لك إن هذا اللحم ..

- .. ضأن .. وليس لحم خنزير .. أليس كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟

إن لغة الإيماءات والنظرات عالمية يا صديقي ..
لو أنك شاهدت فيلمنا باللغة البنغالية لفهمت ثمانين في
المائة من قصته دون جهد ..

وعلى المائدة جلسنا نرشف الحساء الذي لا أعرف
ما هو وإن كنت أميل بعد ثقوقي إلى الاعتقاد أنه حساء
أحذية .. وكانت تسمج فيه أشياء مرعبة لكنه كان ساخناً
وهذا يكفي !

على حين جلس (جوستاف) والقس تبادلان حديثاً لم
أفهم حرفاً منه .. سبل من الشينات والخاءات ينهال فوق
رأسى ويكاد يطير المائدة بما عليها .. هل اللغة الرومانية
خشنة إلى هذا الحد ؟

عينا القس تتسعان خلف نظارته وهو يضغط على
مخارج الحروف .. و (جوستاف) يبدو غير مصدق وإن
كان قد توقف عن المضغ مما دلني على أن الأمر أثار
اهتمامه إلى حد ما ، الأب يرسم علامة الصليب ..

- عم تتحدثان يا (جوستاف) ؟ ..

نظر إلى في تهكم .. ثم قال :

- خمن !.. أأست خبيراً في الأفلام البنغالية ؟ ..!

الإيماءات يا صديقي .. الإيماءات !

- حسن .. لا تمزح !.. هناك معتقد ما يؤمن به الأب
ويخشاه كثيراً لكنك لاتصدقاه .. وإن كانت القصة قد بدأت
تؤثر فيك ..

- حسن .. أنت على حق .

- ولأكون أكثر دقة .. يقول لك إن الشيطان أو روح
الشر - أو شينا من هذا القبيل - يتجول في القرية هذه
الليلة المشنومة لهذا أغلق السكان بابهم وغرسوا
الصلبان على الأبواب ، وإنه يسأل الرب أن يحفظنا هذه
الليلة ..

نظر إلى في شك .. وتساءل :

- قلت إنك لاتعرف حرفاً من الرومانية ؟

صحت فى ذهول :

- هل .. هل تتحدث عن أسطورة الرجل الذى يتحول الى نذب حين يصير القمر بدرا ؟
قال فى تشف إذ نجح أخيرا فى إثارة فضولى .
- إن روماتيا هى موطن هذه الأسطورة .. وبالتحديد سهل الدانوب ، وللمزيد من الدقة الجغرافية يبدو أن موطنها هذه القرية للأسف !
ثم ابتلع ملعقة من حسانه .. ودعانى بإشارة إلى أن أوصل الأكل .. لكن ما أكلته كان قد تحول فى معدتى الى قالب من الطوب .. خرافة أخرى تلاحقنى فى هذا الركن من العالم كأتى الوحيد المؤهل لهذه المهام القذرة ..
قلت :

- لكن القمر كان بدرا البارحة .. المفروض بحسب الأسطورة أن يسود الهدوء والسلام القرية بعد ليلة البدر الصاخبة ، ويعود المذعوب إنسانا ..
تبادل بعض كلمات مع الأب (أنطونيسكو) ، ثم التفت الى :
- ثلاثة أيام ..
- إذن يظل المذعوب يعيث فسادا فى القرية ثلاثة أيام .. هذا كثير ..

- بالفعل .. لكنها الإيماءات كما قلت لك .. ثم إن القصة هى دائما هكذا .. تعلمت ذلك من قصص (إدجار آلان بو) (*) ..!
- وهل أدركت من الإيماءات أيضا أنه مزق رجلين أمس ؟
- من هو ؟
- إنه (بيلاسكو) المذعوب .. أو بمعنى آخر ، الذنب الذى كان رجلا ..

(*) (إدجار آلان بو) الشاعر الأمريكى العبقري .. كتب أرق قصائد الحب مثل (اتاهيل لى) وأفلق قصص الرعب مثل (قناع الموت الأحمر) و (الحشرة الذهبية) و (سقوط منزل آشور) .

وإن قلوبه باكر هي آخر ليالي هذا الشهر ..
- أظن هذا ..

وشرعت أنهى حساني على حين استمرت المحادثة بين
(جوستاف) والقس ، التفت إلى (جوستاف) ، قائلاً :
- قلت للقس إنك لا تصدق حرفاً ..
- (جوستاف) ! إن هذا لا يليق .. إن آرائي
الخاصة ...

- وهو يدعوك أن تزور الحانة باكراً لتسمع ما سيقوله
الرجال هناك ..

- ولكن اعتذر له .. أنا لم أفصد .. يا لك من ...
وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة
(نوسفيرا تو) عدة مرات .. ثم أشار إلى القس ضاحكاً ..
- إنه يسألك عن مغامرتك مع الكونت (دراكويولا) ..
نظرت إليه في غيظ ، وقلت :

- قل له إنني اقتربت من القصة بشكل مروع .. لكنني
حتى هذه اللحظة لست واثقاً من شيء ، قد تكون كل القصة
سلسلة من الأوهام ، وقد تكون دعابة قاسية شربتها حتى
التمالة .. لكنني أعرف شيئاً واحداً ..

لم أجد أي دليل مادي على أن مصاص الدماء عاش أو
يعيش في هذا العالم .. وإن موقفي من الخرافات لم ولن
يتغير .. كل ما لا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يعقل هو غير
موجود ، هذا هو رأيي في أسطورة (دراكويولا) ..



قال (جوستاف) مصحخا :

- (نوسفيراتو) ! .. إنهم يفضلون هذا الاسم هنا وفي

بولندا والمجر ..

- نعم .. هم على حق .. فهو يبدو محبباً للنفس ! ..

عادة يتحدثان عشر دقائق .. ثم التفت إلى (جوستاف)

قائلاً :

- يقول الأب إنك مخطئ ! ..

بالبلاغة هذه اللغة ! .. ربما استغرقت ساعتين كي

أقول له كلمة مساء الخير ، تشاءبت فقال الأب شيئاً

مالمسيدي .. فقامت على الفور تحمّل مصباح

الكيروسين .. واقتادتنا في تودة إلى غرفة صغيرة بها

فراشان نظيفان .. وقالت شيئاً ما هو - بلاشك - كلمة

مساء الخير بالرومانية ، وعلى الفراش ارتعينا بثيابنا لأن

حقائبنا كانت في السيارة ولأن أحننا لم يكن مستعداً للنزول

في الصقيع والظلام كي ننعّم بالنوم في بيجامة .

... وغرقت في نوم عميق

... غريب هو عواء الذئاب في هذه القرية .. صوت

قوى متحشرج أليم كأنه إنسان يتألم في أعماق الجحيم ..

أيقظني هذا العواء ثلاث مرات بعد منتصف الليل .. فكنت

أرند أية الكرسي وأعاود النوم متخيلاً ذلك الذئب البانس

الذي يمشي الآن في الظلام والثلوج ، باحثاً عن فريسة ! ..

في الصباح خرجنا - أنا و (جوستاف) - نسير في
القرية ..

- أول شيء هو أن نجد ما يلزم للسيارة كي نواصل

الرحلة .. ثانياً شيء هو أن نذهب للحانة - كما قال الأب -

فقد نجد شيئاً يهمك .. أو يهمني أنا ..

وعند جراج القرية توجه (جوستاف) إلى رجل بدين

يكسوه الشحم والعرق ويصرخ ، تحدث معه صديقي

فواصل الصراخ .. ثم عاد إلى .. قلت باسمًا :

- كلهم في هذه القرية يصرخون ويرفضون طلباتك ..

قال في صرامة :

- لامجال للمزاح .. إنه يقول إن الكريفات سذت كل

الطرق بالثلوج ..

وخط التليفون الوحيد مقطوع فلم يستطيعوا استدعاء

كاسحات الثلوج ..

- وهذا يعني ..

- نعم .. بالضبط .. يعني أننا سجناء في هذه القرية

حتى يذوب الجليد !

في الحانة طلب (جوستاف) بعض الروم له وقهوة

لى ، وجلسنا وسط بحر من الشوارب الكثة السلافية

ونظرات الشك .. ورجال مفتولو العضلات زادهم الفراء

الذى يرتكبه ضخامة .. وكلهم تقريباً مسلحون ببنادق
ضخمة عتيقة ..

- كلهم هنا من الرعاة .. وحياتهم خشنة إلى حد
لا يوصف ، ثم يجدون أنفسهم أمام فتاتين رقيقتين مثلى
ومثلك !

قالها (جوستاف) وهو يرشف فنحه فى حين انكسرت
أنا فى مقعدى وسط هذا المناخ غير المرعب ، اقترب منا
صاحب الحانة فأخرج (جوستاف) حفنة من
اللايات (*) دسها فى قبضته .. وقال شيئاً ما ، من ثم تهلل
الرجال طرباً وشرعوا يحتسون الروم فى مرح مرعب ..
إنها تلك الحيلة القديمة : كل مشاريب (الجدعان) على
حصابى .. من ثم تزول الكراهية والحواجز البشرية فى
ثوان .. اقترب منا رجل قوى البنية وشده كرسياً على
مائدتنا وصافحنى أنا و (جوستاف) بيد كادت تهشم
أصابعنا ، وقال :

- (استبان) ! .. استبان هيرشوفتش ..

- (جوستاف نيكولسكو) ..

- (رفعت إسماعيل) .

سأله (جوستاف) عن شيء ما بالرومانية .. فشرح
الرجل بفكر ، ثم بدأ يحكى قصة مروعة طويلة وهو يئن

(*) اللاتى : صلة رومانيا .

من حين لآخر ، ثم تهافت .. فأحاط (جوستاف) كتفه
بذراعه ، وقال :

- إنه فقد صديقه أول أمس .. تذكر صديقه هذا أنه لم
يغلق حظيرة الأغنام من ثم ترك زوجته وطفليه وخرج فى
الظلام .. بضع ثوان لكنها كافية .. سمعت زوجته صرخة
مرعبة ، وحين خرجت مسلحة لترى وجدت زوجها ممزقاً
على الأرض وجواره آثار أقدام ذئب ..
- والآخر ؟ .

- إنه عبيط القرية (كونستانتين) ..

- وهل حدث شيء نيلة أمس ؟

- لا شيء فيما نعلم .. كنا نحن المرشحين لنيل هذا
الشرف لو لم يستغفنا القس ..
صحت فى حلق :

- إذن تركنا هؤلاء الجبناء ولم يفتحوا أبوابهم بفرض
ترك وجبة عشاء مضمونة للرفيق (بيلاسكو) .. ياله من
نكاء !

عاد يتحدث مع الراعى .. ثم التفت إلى :

- يقول إن أحداً لم يفتح بابها لنا لأن المذعوب يستطيع
الكلام بصوت البشر أحياناً مقنناً أعذاراً مقننة ، ومن رأيه
أن الاب (أنطونيسكو) اقترف جريمة فى حق نفسه وحق
أخته حين أدخلنا بيته أمس !
- هذا لطف منه !

- يقول (أستبان) أن كل إنسان في القرية يعرف أنه إذا
هاجمه المذعوب عليه أن يحاول إحداث إصابة ما به ..
فإذا نجا بعد ذلك بدأنا في البحث عن صاحب هذه
الإصابة .. ويتم إعدامه بصل من الفضة ..
- وهذه اللقافة ؟

- هذا الرجل يدعى (إيدو) .. هاجمه مذعوب في
الشهر العاضى بين الأحرش .
وقد استطاع أن ينتزع منه مخلبًا ثم فرّ بجلده .. فى
الصباح وجد فى جيبه بدل المخلب شيئًا آخر .
- مثل .. بعض الشيكولاته مثلًا ؟

فتح (أستبان) اللقافة ببطم .. كان أصبغا مجعدًا ..
أصبغا آدميًا يحيط به خاتم ذو فص أزرق ..
لم يحتج (إيدو) لجهد كبير فى البحث عن فقد أصبغه
فى القرية .. بل هو لم يحتج حتى إلى ترك بيته .. إن هذا
الخاتم هو خاتم زوجته !!

★ ★ ★

وأفرغت فنجان القهوة فى حلقى .. ثم سألت :
- قل له من هو هذا المذعوب ؟ .. هل يعرفونه ؟
- يقول إنهم لو عرفوه لقتلوه .. لكنه أحدهم
بالطبع ! .. ثم أنهم قتلوا مذعوبين كثيرين من قبل ..
- ماذا؟ .. هل هم كثيرون ؟
- طبعًا ! .. هناك دائمًا واحد .. الأسطورة تقول إن من
يجرحه المذعوب يتحول لمذعوب جديد فى الشهر التالى ،
كأنه وباء .. فإذا قتلت المريض الأول بقى المريض
التانى ..

- وحين نقتله يكون قد ابتلى العالم بثالث ..
- وهكذا .. سلسلة طويلة منذ القرون الوسطى إلى يوم
الدينونة ..
- وكيف يقتلون المذعوب ؟ ..

- الأمر يقتضى إغمد نصل فى قلبه بالطبع وهو
فى صورته الأدمية لأنه وهو ذنب يكون فى أقوى
حالاته .. يمكنه اقتلاع شجرة من جذورها بكل سهولة ..
- وكيف يعرفون وهو آدمى أنه هو المطلوب ؟
عاديًا يتحدثان .. وأشار (أستبان) إلى رجل يرتدى ثيابا
قذرة وأصلع الرأس ، فجاء الرجل ، طلب منه شيئًا ما ..
فأخرج الرجل من سترته لقافة وألقاها على المائدة وهو
يرمقنى فى شك .:

صحت في ذهول :

- باللهل !

قال (جوستاف) وهو يبلع ريقه :

- هذا هو ما يقولونه .. أنا لأصدق لكن قصتهم

محبوكة إلى حد مرعب ..

قلت في حنى :

- وطبعاً قتل زوجته بنصل فضي ..

- طبعاً ..

- وهكذا يستطيع أى سفاح أن يقتل زوجته ويقطع

إصبعها ثم يخرج ليصبح فى القرية أنه اكتشف أنها

مذعوبة وأنه نفذ فيها قصاص السماء !

التفت (جوستاف) بشكل تلقائى إلى الرجلين لينقل لهما

وجهة نظرى ، فصرخت :

- لا يا أحمق !.. لن نخرج أحياء من هنا !

فتوقف عن الكلام .. لكن الرجلين خمننا ما قلت أو

كادا .. اللعنة على لغة الإيماءات هذه !.. ولمحت نظرة

غضب فى عيني (إيدو) .. وتحسنت يده الفذرة نصل

خنجره المعلق فى حزامه .

- أهنك على حماسك فى الترجمة !.. حاول أن تغير الموضوع ..

وعاد (أستبان) يتحدث بصوته العميق الغليظ ، فى حين حزم (إيدو) لغافته وأعادها لجيبه وهو يرمقنى بنظرة نارية ..

قال (جوستاف) :

- منذ عام نجح (ستيفانو) فى قطع رجل مذعوب

بفأسه .. فى الصباح تحولت الرجل المخلبية المشعرة إلى

رجل إنسان ، وفى نفس اليوم وجدوا ابن العمدة وقد فقد

ساقه فى حادث .. بالطبع نفذ أبوه الحكم بنفسه ..

- بالبشاعة !..

- المذعوب الجديد (بيلاسكو) لم يستطع أحد حتى الآن

أن يحدد هويته أو يحدث به إصابة ما ..

وفى هذه اللحظة وقعت عيناي على .. على أروع

مارأيت فى حياتى !

إن الكلمات لن تتجح فى التعبير عن وقع كل هذا الجمال

على روحى .. أحتاج إلى لغة أرق وأكثر جمالاً .. ربما هى

الموسيقا ، فتاة سوداء العينين والشعر والملابس تقف

جوار (أستبان) وتنتظر إلى فى رقة نظرة ثابتة أذابتنى من

الخجل ..

قالت (لأستبان) شينا ما فرد عليها بمظافة .. ياله

ونادى صاحب الحانة وأخبره برغبتي .. فهز هذا
الأخير رأسه مرحباً .. وأشار إلي أن أصعد معه سلالم
خشبية نخرة إلى .. إلى أفقر حجرة رأيتها في حياتي ..
منتهى البؤس والفقر والضعفة .. حتى نورة العمياء كانت
عبارة عن جردل صدئ جوار الفراش الذي لم يكن أفضل
حالاً ..

- والآن اسمع يا رفيق (رفعت) ..
- أعرف ما ستقول .. اذهب أنت ونم في الخان أما أنا
فبإق!

- لقد وجدت مصيرك ! ..
قالها وهو يبصق على الأرض التي لم تزدها بصقته
قذارة في الواقع .. وعلى الباب استدار ليسألني سؤالاً
أخيراً ..

- والترجمة ؟

ثم هز رأسه مستدركاً :

- أه ! .. نسيت لغة الإيماءات والنظرات !
وأغلق الباب قبل أن أرذ عليه بما يناسب وقاحته !
جلست على الفراش وتأملت المكان في اشمنزاز .. هل
أنا مراهق إلى هذا الحد ؟ أم أنه حافظ خلفي جعلني أفعل
ما فعلت ؟ ..

دق الباب فوثب قلبي في فمي .. تخيلت يدها النحيلة

من و غدا ! .. وقال (لجوستاف) شينا آخر وقد بدا عليه
الاشمنزاز .

قال (جوستاف) :

- هي (إيكاترينا) ابنة صاحب الحانة .. قالت إنها تريد
إخبارك بشيء لكن (أستبان) زجرها وقال لها إن النساء
يصمتن حين يتكلم الرجال ..
- الوحش !

ثم فكرت قليلاً .. فخطرت لي فكرة .

- (جوستاف) .. قل لي .. بالطبع في هذه الحانة مكان
للمبيت .

- طبعاً .. ككل حانة قذرة في العالم ..

- إذن قل لصاحب الحانة إننا نطمع في المبيت عنده .

- لكن لماذا ؟ .. هناك الخان .. والكنيسة ، و ...

- لا ! .. أريد المبيت هنا ..

- هل سأل لعبابك عند رؤية أول فتاة في القرية ؟ ..

إنها ليست

- لم أزعم هذا لحظة .. فقط أريد أن أكون جوارها في
هذه الليلة .

ليلة مسخ الذئب ..

- بالها من رومانسية ! .. كم أنتم ملتهبو العواطف

بأبناء البحر المتوسط !

هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟ .. إنجليزية
رديئة في الواقع لكنها مفهومة ..

- أنت .. بالذنب .. تهتم ؟

- أنا نعم ..

خيول لي - لا أدري لماذا - أنها مستفهمني أكثر لو تحدثت
بلغة إنجليزية ركيكة وهو رد فعل تلقائي نتخذه حتى في
العربية حين يحدثنا أحد الأجنبي بلغتنا ..

- الذنب .. هو هنا ..

- أين ؟

- في .. الحانة .. هذه ! ..

الحناسة الباردة تدق الباب لتقول شيئاً ما بالرومانية
بقتلنى قتلاً ..

فتحت الباب ملهولفا فوجدت صاحب الحانة البدين
بضحك لي كاشفاً عن أسنانه النخرة .. أرق ابتسامة
استطاع أن يرسمها على وجهه .. أعوذ بالله ! .. ناولني
منشفة ممزقة وصابون - ملوثة بالشحم ثم اتحنى ليوحى
إلى أن الخدمة ممتازة .. وانصرف !

واضح تماماً أنه هو الذي سيرعاني في هذه
الغرفة ! ..

كانت الساعة الآن الثانية ظهراً .. لم يكن هناك داع
لإضاءة اليوم كله في حظيرة الخنازير هذه ؛ لهذا أزمعت
أن ألق (بجوستاف) في الحانة بالطابق السفلي كي نقرر
ما نفعله بقية اليوم ..

الباب يدق ثانية .. لاشك أن الوغد سيعطيني هذه المرة
فأزاً ميتاً لوجبة الغداء .. اتجهت إلى الباب وفتحته فرأيت
(إيكاترينا) ! ..

ولكن قولوا لي .. هل يوجد أجمل ولا أنقى من هذا ؟
- جنت .. أقول ..

٦ - من هو؟

قالت وهي ترتجف كالورقة :

- أنا هاجمنى من شهر .. فى المخزن يفعل .. أنا ..
أهرب .. أنا أجرح نذب .. هو .. جرح فى رأس .

إنها قصة مشوقة ! .. إذن لقد هاجمها المذعوب
الشهر الماضى وقد استطاعت أن تفر وأن تجرحه فى
رأسه ، وهكذا حين أشرق النهار كان هناك واحد مجروح
الرأس تعرفه هى .. وهو الآن يشرب الخمر فى الطابق
السفلى من الحانة ! ..

- ومن هو ؟ ..

- هو .. لا أعرف .. يلبس .

- غطاء رأس ؟

- نعم .. نعم .. غطاء رأس ، (استبان) يلبس ..

(ميلو إنستادت) يلبس .. (كوثار يلبس) .. (جورج) ..

(ستيفانو) .. رأس ..

- هذا طبيعى يا صغيرتى ، فى هذا الطقس حتى
الشيطان نفسه يلبس غطاء رأس ..

- لا .. لا .. هو .. هم أبداً يخلعون لا ..

هل فهمت هذا الجزء ؟ .. إنها نقطة هامة .. من
الطبيعى أن الرعاة يشربون ويسكرون ويتشاجرون ..



هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟ .. إنجليزية رديئة فى الواقع

لكنها مفهومة ..

لكن هناك خمسة لم يحدث طيلة الشهر الماضى تحت أية ظروف أن استطاعت رؤية رعوهم عارية ، هذا التثبيت المريب بتغطية الرأس أثار شكوكها ..

فكرة نكية .. لكن هناك حقيقة لا يجب تناسيها ألا وهي أن الفتاة مخبولة .. مخبولة تمامًا ! .. إذا تغاضينا عن جمالها وضعتها ورجفتها ..

- تساعدنى هل أنت ؟

- نعم يا صغيرتى .. أساعدك أنا سوف ! .. لكن كيف أتغلى عن فتاعائى وثقتى بالعلم لأضع ثقتى فى قصتك المملقة عن جرح الرأس .. القصة التى ستؤدى إلى نبح أول مسكين يتصانف أن عارضة الشباك ضربت رأسه أو قذفه طفل شقى بقلاب طوبى ؟

رهت على كتفها مطمئنا .. وأوصلتها للباب فخرجت وهى ترسم علامة الصليب ..

نزلت إلى الحانة .. الطابق السفلى فوجدت (جوستاف) جالماً على مائدة مع (استبان) وقد صار ثملاً تماماً ، جلست على نفس المائدة ومضيت أتأمل وجوه الرجال الخشنة وهم يصخبون ويمزحون مزاحاً فظلاً سمجاً كله لكلمات وشتائم ، أحدهم هو المذعوب كما قالت هى .. ولكن من هو ؟ .. أى أسماء نكرتها ؟ .. إن هذه الأسماء

لا تطق بالذاكرة .. (جورج) قالت .. (وستيفانو) .. ثم .. ثم .. (كثار) .. كلا .. (كوثار) .. ثم (ميلو) .. بقى واحد ، (استبان) .. بالطبع هو (استبان) الجالس على هذه المائدة معنا .. تأملته وتأملت وجهه المشعر وهو يتحدث مع جوستاف ، مفهوم تماماً أن تعتقد الفتاة أن هذا الرجل مذعوب .. فهو لا يحتاج لأنياب ومخالب كى يغدو مرعباً .

ولكن كيف ولدت أسطورة المذعوب ؟ .. إن نفس النفخة تتكرر بشكل أو بآخر فى رانعة (ر . ل . ستيفنسون) (الدكتور جيكل والمستر هايد) ، الرجل الطيب الشريف الذى يتحول فى ظروف معينة إلى شيطان مفترس .. هل هى فلسفة إنسانية ما تتحدث عن أن لكل منا جانبين : أبيض وأسود ؟ !

هل هى محاولة ساذجة لتفسير حالات الانفصام التى يتحول فيها الشخص إلى نقيضه دون سبب واضح ؟ .. على كل حال فالفكرة مفزعة ولا أنكر هذا لحظة .. وأعتقد أن تحول (جوستاف) أمام عينى إلى منسخ ذنب لكفيل بجعلى آخر ميتاً دون أن أنطق بحرف ! .. الساعة الآن الخامسة مساءً ..

اقتربت من (جوستاف) - ورائحة الخمر من فمه تكاد تقتلنى - وقلت له :

الدهشة .. ورأيت كل العيون تنظر إلى في كراهية أو
احتقار أو شك ! .. وصاح أحدهم مستكزرا ..

- ماذا قلت لهم أيها المعتوه ؟

- قلت لهم ما تريد دون لف أو دوران .. قلت لهم إن
السيد القادم من مصر يرغب - بعد إنكم - في مشاهدة
رعوسكم عارية !!
- يا لك من أحمق !

لقد كان ثملا .. ووضعني في موقف ليس محرجا فقط
بل هو خطر على حياتي أيضا .. كلهم ينظرون إلى وقد
كوروا قبضاتهم .. هناك من اعتبرها إهانة وهناك من
اعتبرها حماقة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط
- بلا شك - أدرك أنني أعرف كل شيء !

اقترب (استبان) مني وهو يرمقني بنظرة نارية .. ثم
ضرب المائدة بقبضته ، وشرع يصرخ بكلام كثير أدركت
بصعوبة أنه موجه لي ..

قال (جوستاف) :

- إنه يقول إنك رقيق وسمج وابن ...

- أنا أفهم هذا الجزء ! ..

قلت لها وأنا أرتجف ..

- ويقول إنه يطلب تفسيراً ..

- هل هناك طريقة ما تجعل هؤلاء الرجال يخلعون
أغطية رعوسهم ؟

- ماذا ! ؟

- أريد رؤية رعوسهم عارية ! ..

- هل جننت ؟ .. أو لا قررت فجأة المبيت هنا .. والان

تريد رؤية رعوس الرعاة .. إن الصقيع ...

- لا .. لا .. لم يتجمد مخي ، أرجوك افعل شيئا ! ..

- دعني أفكر ..

- يمكنك مثلا أن تدعوهم لشرب نخب ما وأن يخلعوا

قبعاتهم في صحة هذا النخب .

- هل تمزح ! ؟ .. لسنا في ناد بلندن .. إن هؤلاء

السادة أبعد ما يكونون عن الرقي ..

- إذن فلنحضر أبقونة أو شيئا مقدما لنجبرهم على

خلع أغطية رعوسهم تحية له ..

- إنهم لا يعرفون رعوسهم في الكنيسة نفسها ..

- إذن ..

وهنا نهض (جوستاف) مترنحا حاملا الزجاجاة في

يده .. وقال :

- هناك طريقة أسهل وأضمن ..

وصاح بالرومانية بشيء ما .. فتعالت صيحات

ابتلعت ريقى .. وتحاشيت نظرات الرجال النارية ،
وقلت :

- قل له أن يجلس لأشرح له ، بشرط أن يكون هذا دون
أن يسمعنا أحد ..

نقل له (جوستاف) معنى كلماتي ، فتوقف لحظة
برمقنا في شك وكراهية .. ثم حزم أمره .. فالتفت إلى
الرجال وأمرهم بشيء ثم إنه سحب كرسيه وجلس على
المائدة أمامي ..

وفي عبارات سريعة نقلت له ما قالت له لى الفتاة في
غرفتي .. وقلت له إنني أشك فيه .. وإنني أطالب بكشف
الأوراق قبل أن يحل الليل ..

قطب جبينه ورشف جرعة من زجاجة (جوستاف) ثم
مسح شاربيه بظهر يده المشعرة .. ومضى يحدق في
وجهي فترة ثم نهض .. وصرخ بأعلى صوته في
الرجال ..

- (ستيفانو) !!

فأتى له شاب على شيء من الوسامة يربط رأسه بمنديل
فقر ..

- (كوثار) !!

نهض رجل بدين قصير القائمة من مقعده وجاء
لمائدتنا ..

- (ميلو إنستادت) !

فأفاق (ميلو) من إغفائه القصيرة على مائدة البار
وجاءنا وهو يصلح غطاء رأسه المصنوع من فراء
الثعالب ..

- (جورج) !!

فجاء شاب ملتج يضع على رأسه غطاء من الجلود ،
التفت (إستبان) إلى باقي الرجال وقال شيئاً فساد
التوتر .. ونهض أحدهم لكي يفتح الباب .. باب الحانة ..
وبدأ الرجال الذين ناداهم يشمرون عن أنرتهم .. فقد
فهموا أنه ناداهم لكي يفتكوا بي ! وهو أمر وارد بالنسبة
لي لأن كلامه الكثير بالرومانية قد يكون معناه : أن هذا
السيد يقول إنكم مذعوبون فخذوا بشاركم منه !

التفت (إستبان) إلي وقال كلاماً ما .. ثم أشار إلى
الرجال ليجلسوا حول المائدة .. ثم شرع يتكلم بصوته
الصحيح ضاحطاً على كل حرف ..

قال (جوستاف) مترجماً :

- إنه يحكي ما قلته أنت .. ويقول لهم يا رفاق .. إن
المذعوب هو أحد الخمسة الجالسين على هذه المائدة ..
إنه يدعوهم لكشف رجوسهم ويقسم إنه سيفجر رأس من
لا يفعل برصاص بندقيته ..

وفي بظء واستسلام بدأ الرجال يعزرون رجوسهم ..
الصمت يسود المكان .. والخطوق جافة تتربب
ما سيحدث .

٧ - المقابلة ..

أخذت الدقائق تمضي بطيئة مملة ونحن جالسون في الحانة ملتفون حول (ستيفانو) و(مليو) استادت) وهما عاريا الرأس باكيان يرتجفان ..
الدقائق تمضي .. بطيئة ..
فجأة صاح أحدهم بشيء ما .. فالتفت الجميع إلى (ميلو) ..

- يقولون إن عينيه احمرّت !

بالفعل كانت عيناه محتقنتين بالدم .. لكن الاحمرار كان في الملتحمة .. بياض العينين .. وهذا - بالطبع - نتيجة لكثرة البكاء مع كل الحرارة والدخان والجو الخائق المحيط به ..

- لكن هذه ليست حدقته .. إنها الملتحمة .

- وهل تتوقع من هؤلاء الرعاة معرفة الفارق التشريحي بين الحدقة والملتحمة ؟ ...

إنها عين حمراء .. وهذا يكفي ! ..

تصايح الرعاة في حماسة وقد صرعتهم نشوة الموقف في حين تجمّد (ميلو) في مقعده وقد بدا عليه هلع لا يوصف .. كالفأر الذي وقع في المصيدة ويرى ألا داعي لإضاعة لحظاته الأخيرة في المقاومة ..

تعزّت أربعة رعوس .. ثم في حركات درامية مذ (استبان) يده لغطاء رأسه وانتزعه ووضع على المائدة أمامه .. لو كانت الفتاة كاذبة - في موضوع الجرح - فساكون في موقف عسير ..
كانت كل الرعوس سليمة ..

رأسان فقط هما رأسا (ستيفانو) و (مليو) استادت) كان بهما جرح .. جرح قطعي طويل مغطى بخصلات الشعر ، صاح الرجال في إثارة .. في حين أخذ الرجلان يصيحان في هلع بكلمات ما .. طبعا كل منهما يشرح لهم أين وكيف أصيب بهذا الجرح .

عاد (استبان) يتكلم .. إن هذا الرجل قوى الشخصية وله نفوذ هائل في قومه ، صيحات الموافقة تتعالى في حين ازداد الرجلان تعاسة .. نظرت إلى (جوستاف) - الذي جرفته الأحداث فلم يعد يترجم - متسائلا ، فقال :

- يقول (استبان) إن الموقف صار أكثر وضوحا .. وإننا سنجلس كلنا هنا طيلة الليل حتى يتحول أحد الرجلين إلى مذعوب .. وأن السماء هي التي ستحسم القرار ..
- ولكن كيف يقتل المذعوب عندئذ ؟

- أول علامات التحول هي احمرار حدقتي العينين .. وهو سيراقبهما كالصقر بانتظار أول بادرة من أحدهما عندئذ سيدبجه بسكين الفضة قبل أن يكتمل تحوله !



وهنا سمعت صوت زئير وحشى .. رفعت رأسى فرأيتنى أمام المذعوب !!

شعرت بالفغيان .. وبأنتى على وشك إفراغ معدتى .
فتحاملت على نفسى متجهاً للباب .. نادانى (جوستاف) :

.. ماذا هناك يا رفيق ؟

- قىء ! ..

- والمذعوب ؟

- أستم تحتجزونه هنا ؟ ..

وفتحت الباب الخشبي .. وفى الخارج .. كان الجليد
وهواء الليل البارد .. شعرت أننى أحسن حالاً ، لكن فى
أعماقى كان شعور من الندم على كل هذا الذى تسببت
فيه .. ربما أنت حماقتى إلى مذبحة .. لكن كان هذا هو
الحل الوحيد الذى وجنته لإتقاذ حياتى أنا من المأزق الذى
أنت بي إليه حماقة (جوستاف) .. وطبعاً كانت حماقة
(إيكاترينا) هى التى بدأت سلسلة الحماقات هذه التى
ستؤدى إلى زئج (ميلو) أمام عينى ..

كان صخب الرجال يتعالى داخل الحانة خلف النافذة ..
وكنت أبردك أن على أن أجد مخرجاً ما .. ولكن
ما هو ؟ .. لا أحب أن أرى إسمائنا يموت لأنه أصيب
بالتهاب فى الملتحمة .. ولكن كيف أمنع ذلك ؟
وهنا سمعت صوت زئير وحشى .. رفعت رأسى فرأيتنى
أمام المذعوب !!

هل سقط أحدكم في قبضة مذعوب من قبل ؟ ! .. إن الذين عاشوا هذه التجربة يمكنهم تجاوز هذا الجزء .. أما سعادة الحظ الذين لم يحدث لهم هذا فلهم أقول إنها تجربة شنيعة ! .. أن ترى أمامك كائناً عملاقاً يرتدى ثياباً بشرية لكن وجهه وجه نذب ضخم .. ويداه مخالب نذب .. وصوته صوت نذب .. ويقف على قدميه ، عيناه حمراوان كالدم .. وفمه مفتوح يكشف عن أنياب بيضاء لامعة .. وصدرة يموج بصوت حشرجة جهنمية ، وهذا الكائن يهاجمك أنت !!

ماذا تفعل ؟ ! .. ستصرخ .. لكن أليست هذه صرخات نهاية أكثر منها صرخات استغاثة ؟ .. حاول أن تهرب فوق الجليد المنزلق لكنه حتماً أسرع منك ، حاول أن تركله أو تضربه لكنه صلب كجدار ..

ستسقط على الأرض متكوراً وهو يجثم فوقك كالكاوبوس ومخالبه تمزق لحم وجهك .. وبقوة يانسة توجه له لكمة قوية في عينه الحمراء .. فيصرخ .. وينهض من فوقك .. وفي اللحظة التالية يحيط بك الرعاة وقد خرجوا من الحانة على ضوضاء المعركة...

... ويفرز هذا الوحش بين الثلوج ..

هذا هو بالضبط ما حدث لي ! ..

وفي داخل الحانة أجلسونى ومسحوا وجهى بخرقه مبتة .. وفتحوا لى شينا فى قدح شربته قبل أن أسأل ما هو ، أحاط (جوستاف) كفتى فى لهفة .. وسألنى :

- ماذا حدث ؟

- هو ! ..

- (بيلاسكو) ؟

- نعم ..

- يا للسماء ! .. إنن هو ليس (ميلو) ؟

- وهل شككت أنت فى ذلك ؟ !

- إنن من هو ؟ ! ..

- لا أدرى .. لكنى لكمته لكمة زهية كادت تفلق عينه

اليسرى ..

استدار (جوستاف) للرعاة وشرع ينقل لهم كلامى ،

بدت معالم الخلاص على وجهى الشابن المتهمين .. فى

حين أخذ الكل يثرثرون فى حماسة .. غذا بالطبع سيكون

يوماً وبيلاً على كل من تلقى طوية أو ضربة على عينه

اليسرى .. لكنهم ما زالوا يرمقوننى بنظرات الشك

والتحفظ ، (استبان) يشير إلى ويقول شينا متشغفا ..

(جوستاف) يصرخ فيه بحماسة نافيا ذلك الشء .. ماذا

حدث ؟

- ماذا هناك يا (جوستاف) ؟

- لا شء .. برون التخلص منك الآن ! ..

- ماذا ؟

- قبل أن تقتل أطفالهم ! ؟

- أنا .. ؟ .. كيف ؟

- في الشهر القادم .. حين تتحول إلى مذعوب ! ..

- مذعوب ؟ .. كيف ؟

نظّر إلى نظرة ذات معنى .. وهمس :

- إنه جرحك في وجهك عدة جروح .. ألم تلحظ ذلك ! ؟

جلست في مكاني أصغي للمناقشات والصراخ وأنا أفكر .. من الغريب أنني بالأمن في نفس الوقت لم أكن أعرف شيئاً عن قصة المذعوب ، أليس غريباً أنني قد انغمست - خلال أربع وعشرين ساعة - في المشكلة إلى حد أنني أنا نفسي في طريقى لأكون مذعوباً ! .. يا له من تقدم !!

كنت أعرف تماماً أن القصة لا حظ لها من الصحة .. وأن هذا الذي واجهنى في الخارج هو شيء له تفسير علمي ، لكن المشكلة العاجلة الآن كانت هي مواجهة هؤلاء الحمقى المسعورين الذين لا يريدون سوى الدم .. بصعوبة - رغم سكره البين - استطاع (جوستاف) أن ينقذ حياتي بأن أقتع الرعاة أن يترثوا .. وأن يرفقوا بي ، مع التأكيد على أن الشهر القادم لن يشهدنى في القرية

ولا في روماتيا كلها .. بل سأكون في مصر حيث أكتب وادى النيل السعيد بأسطورة الرجل الذئب .. أى أن رومانيا ستصدر عدوى المذعوب إلى إفريقيا كلها !! تكفى هذه الإثارة لليلة واحدة ..

وفي تودة نهضت ، وفي خطوات ثابتة صعدت السلالم فلم يعترض طريقى أحد .. اتجهت لغرفتى القذرة .. وخلعت حذائى وارتميت فوق الفراش وأنا أشعر به يعلو ويهبط .. يا له من يوم ! .. يا له من يوم ! ..

الباب يفتح في صرير بطيء .. فليكن هذا هو المذعوب أو الشيطان نفسه .. فلن أستطع النهوض ولا المقاومة .. إذا كان يريد اقتراسى فليفعل دون أن يوقظنى .. هذا صوت (إيكاترينا) الناعم ..

- هل شيئاً تريد .. سيد ؟

قلت وعيناي مغمضتان :

- لا يا ملاكى .. لا .. ش .. ش .. شيء ..

أغلقت الباب وخرجت .. ثم فتحته وأدخلت رأسها الأسود الصغير :

- شكراً .. من أجلى .. سيد ...

وخرجت ..

الفراش يموج بى .. لكم أنا متعب ..

نور النهار يدخل من الشباك ، أفتح عينى وأحزك أطرافى شاعزاً بالقوة التى منحنى إياها نوم الليلة

صاحت فى ارتباك وهى تعيد الشعر لتغطى عينها :
 - هذا .. فى باب .. ضربته .. هو فى باب ! ..
 أمسكت معصمها فى حزم ونزعت خصلة الشعر ..
 - لا يا صغيرتى .. إننى أنا الذى وجهت لك هذه الضربة
 أمس .. حين كنت تلعبين دور المذعوب ! .. وتكفل الظلام
 والرعب بجعلى أتخيل قوة غير عادية لك ..
 - أنا .. لا أفهم .. سيد ..
 - ثم الجروح فى وجهى .. لا يمكن أن تحدثها مخالب
 أى حيوان .. بل هى آثار أداة قاطعة رفيعة كنت تمسكيتها
 فى قبضتك لتحدث تأثيرا ..
 الدموع تملأ عينها .. وكيانها كله يرتجف .. و ...
 وهنا انفتح الباب ورأيت أباهما صاحب الحانة يدخل ،
 نظرة متشككة إلى الموقف برمته ألقاها علينا .. ثم تصلبت
 عيناه على وجه (ايكاترينا) .. وبالذات على .. عينها
 اليسرى ، ثم فجأة بدت عليه علامات الفهم ! .. أشار إليها
 وهتف شيئا ما .. ثم إنه اندفع خارج الحجرة وهو يردد
 نفس العبارة مرارا .. لا يحتاج المرء لكثير نكاه كى
 يعرف أنه يقول : المذعوب هو ابنتى .. المذعوب هو
 ابنتى !!

الهادى .. لقد غسلنى هذا النوم من الداخل .. وإننى الآن
 لصافى الذهن إلى حد مفزع ..
 نهضت إلى حوض الغسيل القذر .. وغسلت وجهى ،
 واختلست نظرة إلى المرأة المكسورة ، كان هناك جرحان
 قطعيان طويلان على خدى الأيسر ، ولكنى طسبب
 ولا يمكن خداعى بسهولة .. من قال إن هذين الجرحين
 هما آثار مخالب ذئب ؟ ..
 تفتح الباب خلفى .. ورأيت الظل المحبب الذى فتننى
 - (يكاترينا) تحمل فى يدها صينية عليها أشياء ..
 المفروض أنها تؤكل ، ثم وضعتها على المائدة خلفى
 والتفتت إلى دون أن ترفع وجهها ..
 - هذا .. إفتارك هو .. سيد ..
 كان شعرها الأسود منسدلا على جبينها .. لهذا نهضت
 واقتربت منها وبأناملى داعبت ذقنها الصغيرة ، هتفت فى
 حرج باسم .
 - أرجوك .. لا .. سيد .. أنا لست ...
 أزحت الخصلة المنسدلة على جبينها .. هذا هو ما كنت
 أبحث عنه .. والان يا ملاكى أنت فى مازقٍ مرعب ، وإنك
 لساذجة إذا ظننت أن انسداد شعرك يمكن أن ينقذ موقفك .
 قلت فى إنجليزية رصينة وأنا أضغط على كل حرف :
 - (ايكاترينا) ؟ ..
 - ؟
 - ما سبب هذه الكدمة حول عينك اليسرى !!؟

التفت ، إليها وصحت :

- أرجوك ! .. لا وقت للتفسير ! .. اهربي الآن ! ..
- لكن ..

- اهربي ! .. إن هؤلاء الأوغاد متعطشون للدماء ،
وستكون أسعد لحظة في حياة أبيك هي عندما تتاح له
الفرصة للتضحية بك لإثبات ولائه للجماعة ! ..

- لكن ...

- لن يفهموا شيئاً عن مرضك النفسي .. وسيلقون بك
أرضاً ويقتلونك بسكين من الفضة .

- لكن ..

- هيا .. اذهبي إلى الأب (أنطونيسكو) في الكنيسة
واطلبى اللجوء .. واعترفى له بكل شيء .. أما أنا
فسأحاول أن أنقذ الموقف ، سأشرح لهم .

وهنا تعالى صوت الرجال في الطابق السفلى ..
صيحات الغضب والثورة ، إنهم قادمون فقد ناداهم
المجبول ، في سرعة ودون تردد أمسكت بدي (ايكاترينا)
وفتحت الشباك - برغم الثلوج المحيطة به - وفي رفق
ساعدتها على الانزلاق على طبقة الجليد العالية تحت
النافذة .. ثم أشرت إليها أن تجرى .. نظرت إلى لحظة في
تردد .. ثم أطلقت ساقها للريح ..

ودخل الرجال الحجرة وقد بدا الشر في عيونهم ،
وقالوا ما معناه « أين هي » بالرومانية ؟ فأشرت
للنافذة ، عندئذ أسرعوا بالنزول على السلالم لملاحظتها
ولم يفت (استبان) - بالطبع - أن يفتش الحجرة عدة
مرات قبل أن يصنق إشارتي ، ثم نظر إلى نظرة شك ..
ولحق بالرجال .

وجدت نفسي وحيداً في الغرفة وربما في الحانة كلها ..
فتحت الباب .. وتفقدت المكان حولي .. كانت هناك
حجرتان في نفس الطابق كلتاهما مغلقة الباب ، سرت في
توجه إلى الباب الأول وعالجت مقبض الباب الصدى ..
فوجدتني في غرفة صغيرة نظيفة نسبياً .. على الفراش
قطعة من نسيج الكانافاه لم تتم .. وعلى المائدة في وسط
الغرفة زهرية ورد رقيقة بها زهور ذابلة لا أعرف
اسمها ، كل شيء يدل على أنها غرفة أنثى .. (ايكاترينا)
على وجه الخصوص .. ثيابها ملقاة في إهمال على كرسي
خشبي جوار الفراش .. ثم ديوان شعر مكتوب بحروف
سلافية لا تعرف حتى الوضع الصحيح للإمساك به .
كان تصرفي وقحاً وطغلياً لكنني كنت أريد أن أعرف ..
لهذا مددت بدي المرتجفة الباردة إلى حشية الفراش
وقلبته .

كان هناك كيس قماش كبير مربوط بعناية ، فتحته

ومددت بدى فيه فشعرت بشيء كالفرء وأشياء كقطع بلاستيك مدببة . قلبت الكيس على الفراش فوجدت ما توقعته ..

هناك - على الفراش - ارتعى رأس المذعوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع باتقان غير عادى يكسوه الفراء .. والعينان حمراوان مضيئتان لكنهما تسمحان للابس القناع أن يرى من خلفهما . وكان الفك السفلى الملىء بالأتياب متحركا ، تحفة فنية حقيقية ..

وجوار القناع كان قفازان من الفراء مزودان بالمخالب ، ثم شيء يشبه حزام النجاة فى السفن والطائرات .. عبارة عن أداة لتضخيم حجم الصدر والأكتاف حين تلبس تحت الثياب ..

ثم - والأهم - أداة قاطعة دقيقة ، ومجموعة سكاكين مختلفة الأحجام يمكنها تمزيق فيل وأخيرا صورة شمسية صغيرة لشاب وسيم حليق الوجه يبتسم فى بلاهة .

الآن أفهم كل شيء .. (إيكاترينا) هى (بيلاسكو) المذعوب الذى دوخ القرية وأفزع رجالها حتى الموت . هى أعدت هذه الثياب المتقنة لنفسها .. وشرعت تخرج فى كل ليلة مقمرة بحثا عن التعس الذى يوقعه حظه العائر



هناك - على الفراش - ارتعى رأس المذعوب الذى هاجمنى أمس .. قناع مصنوع باتقان .

- أول شيء .. سنذهب للكنيسة لنواجهها بما نعرف ..
- ثم ؟

- ثم نتدبر إخفاء الأمر أو إعلانه حسب ما يكون
تفسيرها .. قد تكون قاتلة تستحق الإعدام وقد تكون
مريضة انفصام تستحق العلاج ، لكن مهما كان لن نترك
الأمر للعدالة الجماعية في هذه القرية المنكودة .. يجب
الذهاب بها إلى (بوخارست) بأى ثمن .

في الكنيسة قابلنا الأب (أنطونيسكو) .. سألته همسًا
عن الفتاة فقال لي إنها لم تأت .. أقسمت له إننا لن
نؤذيها .. فاحتد غضبًا مؤكدًا أنه لا يكذب ..
إن أين ذهبت هذه التصمة ؟ .. وهل نجح الرعاية في
الإمساك بها قبل أن أتمكن من .. علينا الآن أن نبحث
عنها .

وهنا تذكرت شيئًا فأخرجت صورة الشاب الوسيم التي
كانت في حجرتها .. وقربتها من نظارة القس .

- هل تعرف هذا الشاب يا أبت ؟

لم يعط القس فرصة الترجمة (لجوستاف) لأنه قُرب
أنفه من الصورة .. وهتف :

- آه ! .. (ميخائيليسكو) !

في قبضتها ، ومع كل الرعب والمفاجأة لم يكن أى واحد
على استعداد للدفاع عن نفسه .. لم يحاول أى واحد على
الإطلاق أن يفعل .. وفي الظلام كانت تمزقه بالسكاكين
التي تخفيها معها .. ثم تفر وتعود لدورها الأصلي .. ابنة
صاحب الحانة الرقيقة ، ومن حين لآخر تخبر المغفلين
أمثالي بقصة المذعوب مجروح الرأس .
ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ .. لماذا ؟ ..

- د . (رفعت) !

هذا صوت (جوستاف) يناديني .. لقد استيقظ الآن فقط
من نومه بعد إجهاد السكر ليلة أمس ، وقد بحث عني في
الحانة فلم يجد لي أثرًا ولم يجد أحدًا يسأله .
.. هذا أنا يا (جوستاف) .. أنا هنا ..

صعدت إلى في الطابق العلوى حيث وُقلت في غرفة
(إيكاترينا) .. وعلى الفراش وجد ثياب المذعوب ، فصاح
في غيابه :

- هل .. هل قتلته ؟ وسلخته أيضًا ؟

- يا لك من معتوه !

وفي كلمات سريعة شرحت له كل شيء ..

- والعمل ؟

ثم قال بضع كلمات أخرى .. ورسم علامة الصليب ..
قال (جوستاف) :

- يقول إن اسمه (ميخائيلسكو) ..

- هذا واضح ! .. أنا لست حمازا على كل حال ..

- وأتة ابن العمدة .. كان مذعوبًا وهاجم (ستيغانو) ،
لكن (ستيغانو) أطاح بساقه بالفأس ، وفي الصباح بدت
قصة عن ظروف بتر رجله ملفقة وسخيفة لهذا أدركوا أنه
المذعوب .. وقتلوه ! ..

- وبالطبع هذا الفتى كان يحب (إيكاترينا) ؟

دارت محادثة سريعة بينهما أدركت من خلالها أن
الإجابة نعم .. إذن هذه هي القصة .. قصة حب عنيفة بين
الشابين مرهفي الحسن .. ثم تلفد الفتاة حبيبها نتيجة
خرافة أو قصة مفترضة صاحبها (ستيغانو) ، لهذا تصمم
أن تنتقم وأن تحيل ليالبيهم المقمرة إلى جحيم .. كأنها
قالت : حسن .. أردبتم مذعوبًا فلکم هذا !! ، وشرعت في
كل شهر تقتل أحد الذين كانوا مسنولين عن موت حبيبها ،
ثم اختارت مينة بشعة لـ (ستيغانو) عن طريقى أنا .

كانت تعرف أن رأسه مجروح لهذا أدركت أن اختيار
ليلة الأمس سيؤدى لقتله كما مات حبيبها ، ولما سارت
الرياح لاكما تشتتهى هي .. وكاد (ميلو) يفقد حياته ،
ارتدت ثياب المذعوب وانتظرت كي تهاجم أول من يغادر
الحانة .. وكنت أنا بلا فخر ! ..

- ما التفسير الذى قدمه (ميخائيلسكو) لفقد ساقه ؟

- قال لهم إنه فقد وعيه ليلًا فى أثناء سيره فى

الغابة .. وحين أفاق لم يجد ساقه .. ووجد الجرح مربوطًا
ببراعة كى لا ينزف ، من ثم جر نفسه إلى داره .. وارتقى
فوق فراشه مغشيًا عليه حتى أيقظوه صباحًا ليتهموه بأنه
مذعوب !

قصة غريبة صعبة التصديق ، لكن إذا تخيلنا - بشيء
من التماضى - أن (ستيغانو) كان يحب (إيكاترينا) هو
أيضًا .. يمكننا أن نكمل القصة .. كان يستطيع أن يضرب
الفتى فى أثناء سيره فى الغابة ، ويقطع ساقه بالفأس ..
ويضمدها .. ثم يجرى للقرية ليعلن قصته المزيفة عن
المذعوب ، وبهذا يتخلص من منافسه بطريقة نظيفة
وبحكم إعدام جماعى .

لكن (إيكاترينا) كانت هناك ، وقد قررت أن تكافى
القرية بمذعوب حقيقى !

آخر سؤال وجهته للنس قبل أن ننهى حديثنا كان :

- كيف بدأت قصة المذعوب فى القرية ؟

نقل له (جوستاف) سؤالى ، فhez رأسه فى إرهاب ..
وابتسم وشرع يتكلم .. قال (جوستاف) :

- يقول إن هذا حدث من قرون ، منذ عهود القرون الوسطى ، عائلة (سخاروزان) الإقطاعية كانت تحكم البلاد بالحديد والنار .. لكن اللعنة أصابت نسلهم .. كان أطفالهم يولدون مذعوبين .. وكان المرض يبدأ بأسوداد لون البول ومغص في بطونهم .. ثم يتحولون لمسوخ ذئاب .

بول أسود ومغص ؟ .. مسوخ ذئاب ؟ .. إن هذا يذكرني بشيء ما .. نعم .. هو كذا .. صحت بـ (جوستاف) :

- إن القصة كانت هكذا .. لكن الحقيقة أنهم كانوا مرضى بمرض له أسباب علمية وعلاج .. هذا المرض أسماه القدامى (مرض الرجل الذئب) .. أما اسمه العلمي فهو (بورفيريا) .

هذا المرض ناجم عن اختلال تمثيل الحديد في الجسم .. من ثم تحدث أعراض عديدة منها المغص والبول الأسود ، وفي حالات نادرة تستطيل الأظفار وتبرز الأتياب ويتجدد الجلد ، تصير الحواجب كثيفة والشفاة مشققة والعينان حمراوين .. ثم يتجنب المريض الشمس لأنه لا يتحملها (*) !! ..

- باختصار يتحول إلى

(*) حليقة .

- يتحول إلى ذئب بشرى ! .. وبمرور الوقت تولد الأسطورة .. وتعيش في النفوس ، ويستغلها بعضهم لقتل زوجته أو منالسه في الحب ، أبدا لم يوجد على الأرض رجال ذئاب .

هتاف (جوستاف) في جزع :

- رائع ! .. ولكن هلا اختصرت هذه المحاضرة العلمية إلى أن ننقذ الفتاة ؟

يا الله ! .. لقد نسيتها تماما .. غمرتني نشوة أن أجد تفسيراً هذه المرة لهذا اللغز من أغاز التاريخ ، وللحظة ظننت أنني خليط من (شيرلوك هولمز) و (لوى باستير) .. وفاتتني تماما أن الوقت غير مناسب لهذا .. - فلنصرع ! .. واشكر لنا الأب (أنطونيسكو) بشدة ! ..

عند المقابر وجدناهم .. الدماء تلطخ الجليد الأبيض .. وهم جميعاً واقفون في صمت وقد نكسوا رؤوسهم . على الثلوج كانت ممبدة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حولها ملطخاً بالدم والثلج .. وفي صدرها كان نصل طويل غانصاً إلى نصفه .. نصل من الفضة .. في حين وقف قائلوها حولها يلهثون في إعياء . لقد تأخرنا كثيراً .. كثيراً جداً .

وعلى قدميها ارتدى أحدهم يبكى ويفسها بدموعه ،
كان عارى الرأس وفي فروة رأسه جرح قطعى طويل ..
لقد فقد (ستيفانو) حبيبته الرقيقة أمام عينيه وهو الذى
فعل كل الفظائع التى فعلها لتكون له وحده .. لكنى لا أشعر
بأى نوع من الرثاء له .

أخذ (جوستاف) ينشج فى صمت ، وسالت دمعتان
دافئتان على خدى سرعان ماتحولتا إلى ندفتين من الثلج
جوار فمى .

ودون كلمة أخرى تأبط (جوستاف) ذراعى وأخذنى
بعيدا عن هذا المشهد المرؤع .

لقد انتهت أسطورة الرجل الذئب .. انتهت للأبد ، لكنى
لست فخوزا على الإطلاق بدورى فيها .. لست فخوزا
على الإطلاق .

والشمس تغرب فوق المقابر فى سكون ..



على الثلوج كانت ممددة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حوفا ملطخا
بالدم والثلج ..

فى مطار (بوخارست) صافحت (جوستاف) وشكرته على كل شيء ، ثم إننى طلبت منه أن يكتب لى باستمرار . تحسن الجرح الذى فى وجهى وهتف باسغا :
- إذا تحولت إلى مذهب يوم الخميس القادم لا تنس أن تكتب لى ! ..

لم أبتسم .. وقلت فى كآبة :

- أرجوك ألا تعود لهذا فى خطاباتك ! ..

- أوه ! .. لننس الماضى ..

أشعلت سيجارة .. وتأملت المسافرين المتجهين لصالة الجوازات .. وسألت :

- هل نشرت القصة ؟

- لا ..

- ولمه ؟ .. إنها مثيرة برغم كل شيء ..

- المكتب الثقافى فى الحزب ..

وتلفت حوله فى حذر ليتأكد أن أحدا لا يسمعه .. ثم

أردف :

- قالوا إن قصتى خيالية .. و .. رجعية .. ولا تخدم

أيدىولوجية الحزب .. ثم إنها تتهم رعاة الجنوب

بالتخلف !!

- ربما كان هذا أفضل ..

وصافحته للمرة الأخيرة .. واتجهت لصالة الجوازات ، نادانى فى لهفة صاخبا :

- حاول أن تعود لرومانيا قريبنا .. تنتظرك أشياء رائعة فى قلعة الدكتور (فرانكشتاين) !

- لا مفر من ذلك ! .. لكننى سأتعلم اللغة الرومانية أولاً ..

- وداغا .. يا رفيق ، تحياتى لأبى الهول !

- وداغا ! ..

وأقلعت الطائرة ..

كنت أظن أننى عائد إلى عالمى الهادئ الناعم ، ولم أكن أعرف أننى سأواجه كابوساً جديداً فى قرىتى الصغيرة و ..
.... لكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل - القاهرة ١٩٩٢

☆☆☆

[تمت بحمد الله]